الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة
إيبارشيَّة لوس أنجيلوس
قناة لوغوس
نوفمبر ٢٠١٥م

عبادتنا اللِّيتورجيَّة هي ترتيل عقائدنا الإيمانيَّة (الجزء الثَّاني)

سادساً: قيامة المسيح من بين الأموات
في بعض النُّصوص اللِّيتورجيَّة وعند بعض آباء الكنيسة

المحتويات

(١) بعض النُّصوص اللِّيتورجيَّة عن قيامة المسيح وصعوده وجلوسه عن يمين الآب ١
(٢) مفاهيم أوليَّة عن مفهوم القيامة ٢
(٣) تعليم آباء الكنيسة عن قيامة المسيح من أجلنا ٢
قيامة المسيح من أجلنا في تعليم القدِّيس أثناسيوس الرَّسولي ٢
+ عدم الفساد المادي، أي الغلبة على الموت ٣
+ عدم الفساد الرُّوحي ٤
قيامة المسيح من أجلنا في تعليم القدِّيس كيرلُّس الكبير ٤
+ القيامة هي غاية التَّجسُّد ٤
+ النَّتيجة الحتمية للاتحاد الأقنومي في المسيح، هي أن تنتقل الحياة منه إلينا ٥
+ تأثير قيامة المسيح على كلِّ البشريَّة ٥
المستوى الأوَّل: عام ٦
المستوى الثَّاني: خاص ٦
• القيامة تمنحنا الرُّوح القُدُس ٦
• القيامة تغيِّرنا إلى صورة المسيح ٧
• القيامة تجعلنا أبناء الآب السَّماوي بالتَّبني ٧
(٤) معنى قول السيِّد المسيح للمجدليَّة: «لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي» (يوحنَّا ٢٠:١٧) ٩

(١) بعض النُّصوص اللِّيتورجيَّة عن قيامة المسيح وصعوده وجلوسه عن يمين الآب

القُدَّاس الباسيلي .....

- ''وقام من بين الأموات في اليَوم الثَّالث، وصعد إلى السَّموات، وجلس عن يمينك أيها الآب''.
- ''لأنَّ كل مرَّة تأكلون من هذا الخُبز، وتشربون من هذه الكأس ... تعترفون بقيامتي''.
- ''آمين آمين آمين بقيامتك المقدَّسة وصعودك ... نعترف''.
- قانون الإيمان ''وقام من بين الأموات في اليَوم الثَّالث كما في الكُتُب، وصعد إلى السَّموات، وجلس عن يمين أبيه، وأيضاً يأتي في مجده، ليدين الأحياء والأموات''.

صلوات القسمة .....

- ''ونحن ... الجلوس في الظُّلمة زماناً، أنعم لنا بنور قيامته من قبل تجسُّده الطَّاهر. فليضيء علينا نور معرفتك الحقيقيَّة، لنضيء بشكلك المحيي''.
- ''دفننا معه، بموته أبطل عزَّ الموت. وفي ثالث يوم قام من بين الأموات''.
- ''رئيسُ الملائكة نزل من السَّماء ودحرج الحجر عن فم القبر، وبشَّر النِّسوة حاملات الطِّيب قائلاً: المسيح قام من بين الأموات. بالموت داس الموت، والذين في القبور أنعم لهم بالحياة الأبديَّة ... وبعد أربعين يوماً صعد إلى السَّموات، وجلس عن يمين أبيه الصَّالح''.

تسبحة نصف اللَّيل .....

- ''باكراً جدًّا، أسرعتْ إلى قبرك النُّسوة حاملات الطِّيب ينُحن، لكن وقف بهنَّ الملاك قائلاً لهن: إنَّ زمان البُكاء قد كف، لا تبكين، بل بشِّرن بالقيامة للرُّسُل''.
- ''النُّسوة حاملات الطِّيب أتين إلى قبرك مع البُخور أيها المُخلِّص، وسمعن الملاك قائلاً لهن: لماذا تطلبن الحيَّ مع الأموات، وهو كإله قام من القبر؟''.
- ''مباركٌ أنت يارَبِّي يسوع، لأنك قُمت وخلَّصتنا''.

(٢) مفاهيم أوليَّة عن مفهوم القيامة

• ''القيامة ἀνάστασις (أناستاسيس) كلمة غريبة على البشريَّة، لأنها فعلٌ غير أرضي، ليس له أيَّة علاقة بتراب الأرض، ولا بأيِّة خليقة تدب على الأرض. إنه فعلٌ جديد جدًّا على البشريَّة.

• القيامة التي قامها يسوع ليست مثل قيامة لعازر، أي قيامة لا تزال يسودها الموت، بل قيامة لحياة أبديَّة، حيث يأخذ الجسد قوَّات فائقة وشامخة على قوانين الطَّبيعة.

• مفهوم القيامة، هو مفهوم يفوق الجسد واللَّحم، ويفوق العقل، ويفوق العواطف والمشاعر والتَّفكير وأعماق الضَّمير.

• الموت حدثٌ طبيعي، ولكن القيامة حدثٌ فوق الطَّبيعة، وخرقٌ لكلِّ قوانينها. القيامة إلغاءٌ للموت، وإلغاءٌ للزَّمن، وإلغاءٌ للألم! إنها مجدٌ فائق للشَّخص في حدِّ ذاته، وللجسد الذي مات.

• الإيمان بالقيامة هو إيمان بأنَّ جسد المسيح لم يكن جسد إنسان وحسب، بل جسد إله متأنِّس.

• فرحُ القيامة هو أوَّل تقليد كنسي روحي ولاهوتي في آن واحد، دخل عُمق أعماق الكنيسة.

(٣) تعليم آباء الكنيسة عن قيامة المسيح من أجلنا

يقول **القدِّيس إغناطيوس الأنطاكي** (٣٥-١٠٧م):

[تصامُّوا عن أيِّ أحد يكلِّمكم عن شيء آخر غير يسوع المسيح ... الذي قام حقًّا من بين الأموات إذ أقامه الآب، الذي سيُقيمُنا نحن أيضاً على مثاله نحن المؤمنين به في يسوع المسيح الذي بدونه ليست لنا الحياة الحقيقيَّة ...] (الرِّسالة إلى ترالیا ١٩).

وعلينا الآن أن نتكلَّم عن ''قيامة المسيح من أجلنا'' في تعليم **القدِّيس أثناسيوس الرَّسولي** (٣٢٨-٣٧٣م)، ثمَّ في تعليم **القدِّيس كيرلُّس الكبير** (٤١٢-٤٤٤م).

قيامة المسيح من أجلنا في تعليم القدِّيس أثناسيوس الرَّسولي

يمكننا أن نحصر تعليم القدِّيس أثناسيوس عن قيامة المسيح، بأنها أعظم دليل على لاهوته. وأمَّا أعظم دليل على قيامته،

فهو مفاعيل قوَّة قيامته فينا. هذا هو ملخَّص فكر القدِّيس أثناسيوس عن قيامة المسيح.

فقيامة المسيح من بين الأموات، هي غاية تجسُّد المسيح، وذلك لكي يعيد طبيعة الإنسان التي فسدت بالخطيئة، إلى عدم الفساد مرَّة أُخرى بالقيامة من بين الأموات. فلم يكن هناك من سبيل لتجديد الإنسان وإعادته إلى عدم الفساد، إلاَّ بأن يأتي اللُّوغوس نفسه، الذي له وحده عدم الفساد، ويتَّحد بجسد الإنسان الفاسد، ليُظهر فيه عدم الفساد بالقيامة من بين الأموات[١].

ويتحدَّث **البابا أثناسيوس الرَّسولي** في ذلك الأمر فيقول:

[... إنَّ الإنسان لمَّا صار فيه (أي في الكلمة)، قد استعاد الحياة. فإنه لأجل هذه الغاية بالذَّات قد اتحد الكلمة بالإنسان][٢].

[الربُّ كان مهتماً بصفة خاصة بقيامة جسده التي كان مزمعاً أن يكمِّلها. لأنه كان يريد أن يقدِّمها كدليل على انتصاره على الموت، وليؤكِّد للجميع أنه أزال كلَّ أثر للفساد. ومن ثمَّ، منح أجسادهم عدم الفساد من ذلك الحين، ولهذا حفظ جسده غير فاسد، كضمانة وبُرهان على القيامة التي تنتظر الجميع] (تجسُّد الكلمة ٢٢:٤).

ولكن ما هو ''عدم الفساد'' الذي قصد الرَّب أن يعيده إلينا بفعل قيامته من بين الأموات؟ إنه بحسب فكر آباء كنيسة الإسكندريَّة، ولاسيَّما القدِّيسين أثناسيوس الرَّسولي وكيرلُّس الكبير، أنه لا يختص فقط بالموت الجسدي والحياة الجسديَّة، ولكن أيضاً بالموت الرُّوحي أي بانفصال الحياة الرُّوحيَّة عن الله.

أي أنَّ ''عدم الفساد'' يشمل مفهومَين مرتبطَين ببعضهما ارتباطاً وثيقاً:

- عدم الفساد المادي، أي الغلبة على الموت.
- عدم الفساد الرُّوحي، أي الغلبة على الخطيئة.

وهذه هي نتائج قيامة المسيح التي أُكملت فينا.

+ عدم الفساد المادي، أي الغلبة على الموت

يقول **البابا أثناسيوس الرَّسولي** (٣٢٨-٣٧٣م):

[قديماً – قبل الظُّهور الإلهي للمُخلِّص – كان الموت مرعباً حتى للقدِّيسين[٣]، وكان الكُل ينوحون على الأموات، كأنهم هلكوا. أمَّا الآن، وقد أقام المُخلِّص جسده، لم يعُد الموت مرعباً بعد، لأنَّ كلَّ الذين يؤمنون بالمسيح، يدوسونه كأنه لا شيء، ويفضِّلون أن يموتوا عن أن ينكروا إيمانهم بالمسيح. لأنهم يعلمون يقيناً أنهم عندما يموتون لا يهلكون، بل يبدأون الحياة فعلاً، ويصبحون عديمي الفساد بفضل القيامة] (تجسُّد الكلمة ٢٧:٢).

[إنْ كان الشُّبان والشَّابات الذين في المسيح، يحتقرون هذه الحياة ويرحِّبون بالموت، فهل هذا بُرهان تافه على ضعف الموت؟ أم هذا إيضاح ضئيل للنُّصرة التي نالها المُخلِّص عليه؟ فالإنسان بطبيعته يرهب الموت، ويفزع من انحلال الجسد. ولكن المدهش جداً أن من يتقلَّد الإيمان بالصَّليب، يحتقر حتى ما هو مُفزع بالطَّبيعة، ولا يرهب الموت إكراماً للمسيح] (تجسُّد الكلمة ٢٨:١، ٢).

[أمَّا عن قيامة الجسد إلى عدم الموت، التي أتمَّها عندئذ المسيح مُخلِّص الجميع، والحياة الحقيقيَّة للجميع، فإنَّ إثباتها بالوقائع أكثر وضوحاً من إثباتها بالحجج والبراهين، لمن سَلَمَت بصيرتهم العقليَّة ... لأنه إن كان الأعمى لا يرى الشَّمس، فإنه عندما يحس الحرارة المنبعثة منها، يُدرك أنَّ هناك شمساً فوق الأرض، هكذا أيضاً إن كان

١- تجسُّد الكلمة، ٤:٧، ٥ ؛ ٤:٨

٢- تفسير: «كلُّ شيء دفع إليَّ من أبي» (متى ١٨:٢٨).

٣- انظر مزمور ٥٥ : ٤، ٨٩ : ٤٧، أيوب ١٨ : ١٤

مقاومونا لا يؤمنون للآن لأنهم لا يزالون عمياناً عن الحق، فإنهم على الأقل، إذ يدركون قوَّة المسيح في الآخرين الذين يؤمنون، يجب ألاَّ ينكروا لاهوته، والقيامة التي أتمها] (تجسُّد الكلمة ١:٣٠ ؛ ٣:٣٢).

+ عدم الفساد الرُّوحي

[لأنه إن كان الإنسان الميت تبطل قواه وينتهي نفوذه وسلطانه عند القبر. وإن كانت الأعمال والنُّفوذ على البشر لا تخص إلاَّ الأحياء، فلينظر كلٌّ من أراد، وليكن شاهداً للحق ممَّا يبدو أمام عينيه. لأنه إن كان المُخلِّص يعمل الآن أعمالاً عظيمة كهذه بين البشر، ولا يزال كلَّ يوم بكيفيَّة غير منظورة، يُقنع الجماهير العديدة من كلِّ ناحية، سواء من سُكَّان اليونان أو البلاد الغربيَّة، ليُقبلوا إلى إيمانه، ويُطيع الجميع تعاليمه، فهل لا يزال يوجد من يتطرَّق الشَّك إلى عقله أنَّ القيامة قد أتمها المُخلِّص، أو أنَّ المسيح حيٌّ، أو بالحري انه هو نفسه الحياة؟

وهل يُتاح لشخص ميت أن ينخُس ضمائر البشر، فيثوروا ضدَّ نواميسهم الموروثة، ويخضعوا لتعاليم المسيح؟ وإنْ كان المسيح لم يعُد بعد فاعلاً متحرِّكاً، بل له خواص الأموات، فهل يستطيع أن يصد الأحياء عن حركاتهم وأعمالهم، وحتى يكف الزَّاني عن الزِّنا، والقاتل عن القتل، والظَّالم عن الظُّلم والاغتصاب، وحتى يُصبح الدَّنس فيما بعد متديناً[٤]؟ أو كيف يستطيع لو أنه لم يقم بل لا يزال ميتاً، أن يطرد ويطارد ويحطِّم تلك الآلهة الكاذبة، التي يدَّعي الملحدون أنها حيَّة، والأرواح الشِّريرة التي يعبدونها؟] (تجسُّد الكلمة٣:٣٠-٥).

[من ذا الذي بموته طرد الشياطين قط؟ ومن ذا الذي ارتاعت الشياطين من موته كما فعلت عند موت المسيح؟ ... ومن ذا الذي خلَّص البشر من شهوات وضعفات الإنسان الطَّبيعيَّة، حتى صار الفُجَّار عفيفين، والقتلة لا يحملون السَّيف فيما بعد، والذين تملَّكهم الجُبن والخوف قديماً تشجعوا؟

وبالإيجاز من ذا الذين اقنع البشر في البلاد الهمجيَّة، وجماعة الوثنيِّين في الأماكن المتنوِّعة، ليتخلُّوا عن جنونهم ويعملوا للسَّلام، غير الإيمان بالمسيح وعلامة الصَّليب؟ أو من ذا الذي أكَّد للبشر حقيقة الخلود، كما فعل صليب المسيح وقيامته بالجسد؟] (تجسُّد الكلمة ٤:٥٠، ٥).

قيامة المسيح من أجلنا في تعليم القدِّيس كيرلُّس الكبير

+ القيامة هي غاية التَّجسُّد

عند **القدِّيس كيرلُّس الكبير** – كما عند **القدِّيس أثناسيوس الرَّسولي** – أنَّ القيامة هي غاية التَّجسُّد.

فيقول **القدِّيس كيرلُّس الكبير**:

[لبس جسدنا لكي يقيمه من الموت، ويفتح أمام الجسد الذي استسلم للموت، طريق العودة إلى عدم الفساد] (تفسير إنجيل لوقا ١٩:٢٢).

[اقتنى لنفسه جسداً قابلاً للفساد بحسب طبعه الخاص، لكي يستطيع بكونه هو نفسه الحياة، أن يزرع في الجسد امتيازه الخاص، الذي هو الحياة] (المسيح واحد *PG* 75:1352).

[لهذه الغاية اقتنى كلمة الله المحيي جسداً خاصاً له، وجعله خاضعاً للموت، حتى إذ يُظهره غالباً للموت والفساد، يجعل بذلك النِّعمة تنتقل إلينا نحن أيضاً، لأنه كما أننا في آدم قد خضعنا للموت، هكذا أيضاً في المسيح تحرَّرنا من طغيانه، وتشكَّلنا من جديد بصورة الخلود] (الكتاب الثَّاني ضدَّ ثيودور ٣).

---

(٤) "والمنافق عن نفاقه" كبعض الترجمات.

[احتمل الموت تدبيرياً في جسده الخاص، حتى يدوس الموت، ويقوم بصفته هو الحياة ومعطي الحياة، فيتمكَّن بذلك أن يحوِّل إلى عدم فساد ما كان معذَّباً تحت سطوة الموت أعني الجسد. وهكذا فاضت منه إلينا قوَّة ما أكمله في نفسه، وامتدت منه إلى سائر جنسنا] (ضدَّ نسطور ١:٥).

+ النَّتيجة الحتمية للاتحاد الأقنومي في المسيح، هي أن تنتقل الحياة منه إلينا

النتيجة الحتميَّة للاتحاد الأقنومي في المسيح، أي اتحاد اللاَّهوت بالنَّاسوت، هي أن تنتقل الحياة من اللُّوغوس إلى الجسد، أي إلينا نحن الذين كنَّا ممثَّلين في هذا الجسد.

فلقد كان اهتمام **القدِّيس كيرلُّس الكبير** في كلِّ تعاليمه، منصباً على عقيدة الاتحاد الأُقنومي، أي وحدة لاهوت المسيح بناسوته، وأثر هذا الاتحاد فينا. وجدير بالذِّكر هنا، أنَّ **القدِّيس كيرلُّس الكبير** يشهد بنفسه أنه استلم الأسس الأولى لعقيدة الاتحاد الأقنومي، من سلفه القدِّيس أثناسيوس الرَّسولي، إذ يقول:

[... كما قال أبونا **الأُسقُف أثناسيوس** الفائق الشهرة، والمعتبر معياراً غير متغير للإيمان الأرثوذكسي: لقد اتحدت في المسيح حقيقتان مختلفتان تماماً بحسب الطَّبيعة، أعني اللاَّهوت والناسوت ... غير أن المسيح الناتج منهما هو واحد تماماً] (الرِّسالة الفصحيَّة الثَّامنة 572 :77 *PG*).

وعلينا الآن أن نستوضح هذا الفكر الآبائي، فيما يختص بقيامة المسيح من بين الأموات.

يقول **القدِّيس كيرلُّس الكبير**(٤١٢-٤٤٤م):

[إننا جميعاً كنَّا في المسيح، لمَّا مات وقام بنا، ولأجلنا] (تفسير إنجيل يوحنَّا ٢٩:١).

[إنه قام حاملاً في نفسه كلَّ طبيعتنا، من حيث أنه كان إنساناً، وواحداً منَّا] (تفسير إنجيل يوحنَّا ٣٩:٧).

[إنه يحوي جميع المؤمنين في ذاته في وحدة روحيَّة. وإلاَّ فكيف كان يمكن لبولس أن يكتُب قائلاً: إنه أقامنا معه وأجلسنا معه في السَّماويَّات؟ ... فمنذ أن جعل نفسه مثلنا، صرنا نحن ذوي جسد واحد معه σύσσωμοι وصار هو يحملنا كلّنا في نفسه ... فلما رجع الرَّب إلى الحياة وقدَّم نفسه لله كباكورة للبشريَّة، حينئذ بكلِّ تأكيد تحوَّلنا نحن أيضاً إلى حياة جديدة] (جلافيرا على سفر العدد *PG* 69:624,625).

[مع كونه هو الحياة بطبعه، فقد مات بالجسد من أجلنا، لكي يغلب الموت من أجلنا، ويُقيم الطَّبيعة البشريَّة كلَّها معه. لأننا جميعاً كنَّا فيه بسبب أنه صار إنساناً] (تفسير إنجيل يوحنَّا ٣٢:١، ٣٣).

[إنَّ المسيح لَمَّا استعاد الحياة ناقضاً سُلطان الموت، لم يكمِّل قيامته من أجل نفسه هو، إذ أنه هو في ذاته الكلمة الإله. ولكن حيث أنَّ طبيعة الإنسان كانت بكاملها في المسيح مقيَّدة بسلاسل الموت، لذلك قام ليمنحنا بَرَكَة القيامة من خلال نفسه وفي نفسه] (تفسير إنجيل يوحنَّا ٢٤:١٧)[٥].

+ تأثير قيامة المسيح على كلِّ البشريَّة

يميِّز **القدِّيس كيرلُّس الكبير** بين نوعَين من القيامة، نوع عام للجميع، ونوع خاص فائق من الحياة. أي أنَّ قيامة الرَّب من بين الأموات، قد أثرت على البشريَّة على مستويين:

٥- يشرح **القدِّيس غريغوريوس النِّيسي** (٣٣٥-٣٩٥م) ذلك المفهوم الذي يكرِّره القدِّيس كيرلُّس الكبير، فيقول:

[حيث أنَّ جسده البشري الحامل اللاَّهوت والمرتفع مع اللاَّهوت بالقيامة لم يكن من عجينة أخرى غير عجينتنا؛ فكما يحدث في أيِّ جسم من أجسامنا، أنَّ انفعال حاسة واحدة من الجسم ينتشر أثره في الجسم كلِّه المتَّحد بهذا العضو، هكذا قد حدث للطَّبيعة (البشريَّة) كلِّها بصفتها كائناً واحداً حيًّا، أنَّ قيامة الواحد منها (أي الجسد الإلهي الذي من نفس عجينتنا) انتقلت منه إلى الجميع، بسبب اتصال واتحاد الطَّبيعة كلِّها، حتى امتدَّت (القيامة) من الواحد إلى المجموع كلِّه!] (العظة التَّعليميَّة الكُبرى ٣٢).

- المستوى الأوَّل، عام، يدرك جميع النَّاس بلا استثناء، بقيامة أجسادهم في اليَوم الأخير.
- المستوى الثَّاني، خاص، للذين يقبلونه، وهي القيامة الرُّوحيَّة لجدَّة الحياة.

المستوى الأوَّل: عام

- فعن المستوى الأوَّل العام، يقول **القدِّيس كيرلُّس الكبير**:

[إنَّ القيامة أدركت جميع النَّاس من خلال قيامة المُخلِّص الذي تسبَّب في إقامة طبيعة الإنسان بشمولها معه. غير أنها لن تفيد شيئاً لأولئك الذين يحبُّون الإثم] (تفسير إنجيل يوحنَّا ١٠:١٥).

[إننا نعتقد أنَّ السِّر الحاصل بقيامة المسيح، يمتد ويدرك كلَّ طبيعة الإنسان. فنحن نؤمن بأنَّ طبيعتنا كلَّها – فيه هو أوَّلاً – قد انعتقت من الفساد، لأنَّ الجميع سيقومون على مثال ذلك الذي أُقيم لأجلنا، وهو حامل الجميع في نفسه، من حيث أنه إنسان. وكما أننا سقطنا جميعاً في الموت في الإنسان الأوَّل، هكذا أيضاً سيقوم الجميع في الذي صار بكراً لنا، ولكن الذين صنعوا الخير إلى قيامة الحياة كما هو مكتوب، والذين صنعوا الشَّر إلى قيامة الدَّينونة. وأنا أؤكد أنَّ القيامة للعذاب هي أصعب وأقسى من الموت نفسه] (تفسير إنجيل يوحنَّا ٦:٥١).

أي أنَّ نعمة القيامة تنتقل إلى الجميع بقيامة أجسادهم، سواء شاءوا أم لم يشاءوا، وذلك بفعل التَّغيير الجذري الذي أجراه الرَّب في صميم طبيعة الإنسان، لمَّا قام بالجسد، حاملاً طبيعتنا بكاملها في هذا الجسد. هذا هو المستوى الأوَّل العام.

المستوى الثَّاني: خاص

- وأمَّا عن المستوى الثَّاني الخاص، للذين يقبلونه، فهي القيامة الرُّوحيَّة لجدَّة الحياة. حيث يقول:

[لابد أننا نحن الذين دُفِّنا مع الرَّب (في المعموديَّة)، نقوم أيضاً معه روحياً. فإن كان الاشتراك في الدَّفن معه معناه الموت على الخطيئة، فمن أوضح ما يمكن أنَّ الاشتراك في القيامة معه، يعني بالضَّرورة الحياة في البر] (تفسير رسالة رومية ٦:٣).

ويسهب **القدِّيس كيرلُّس** في حديثه عن هذا المستوى الثَّاني الخاص، الذي ناله المؤمنون بالمسيح، إذ أنَّ المفاعيل الرُّوحيَّة لقيامة الرَّب فينا، هي أنها تُدخلنا في علاقة حيَّة مع الآب والابن والرُّوح القُدُس. وذلك في ثلاث نقاط أساسيَّة:

+ فالقيامة تمنحنا الرُّوح القُدُس.
+ والقيامة تشكِّلنا على صورة الابن.
+ والقيامة تعيد إلينا بنوتنا للآب.

وينبغي أن نلاحظ أن هذه البنود الثَّلاث السَّابقة متصلة ببعضها البعض اتصالاً وثيقاً، حيث أنَّ البند الأوَّل يقودنا حتماً إلى الثَّاني، والثَّاني يقودنا حتماً إلى الثَّالث.

- **القيامة تمنحنا الرُّوح القُدُس**

[الرَّب يقول: قد أتيتُ لتكون لهم حياة، وليكون لهم أفضل. لأنه بالإضافة إلى استعادة الحياة (بعد الموت)، ينال المؤمنون به رجاء جميع الخيرات الصَّالحة. وغالباً ما تشير كلمة «أفضل» إلى ذلك النَّوع الفائق من الحياة الأوفر والأكرم. وفي هذا إشارة ضمنية إلى المشاركة الكاملة في الرُّوح القُدُس، ولو بأسلوب سرِّي جدًّا. لأنَّ استعادة الحياة (الجسديَّة) ستكون عامة للقدِّيسين والخطاة كليهما، ولكن المشاركة في الرُّوح القُدُس، لن تكون عامة للجميع، لأنها هي الحياة «الأفضل» أي التي تفوق ما هو عام للجميع] (تفسير إنجيل يوحنَّا ١٠:١٠).

[لقد وُهب لنا روح التَّجديد، أي الرُّوح القُدُس ينبوع الحياة الأبديَّة، بعد أن تمجَّد المسيح، أي بعد قيامته. إذ

نقض أوجاع الموت وأظهر نفسه فائقاً لكلِّ فساد، وعاش حياة جديدة، حاملاً في نفسه كلَّ طبيعتنا ... فلماذا لم ينسكب الرُّوح قبل القيامة بل بعدها؟ لأنَّ المسيح قد صار باكورة الطَّبيعة المتجدِّدة لمَّا عاش من جديد ناقضاً أوجاع الموت ... فكيف كان يمكن قبل ظُهور الباكورة، أن تتجدَّد حياة الذين يتبعونه؟

لأنه كما أنَّ النبات لا يمكن أن ينبت من الأرض قبل أن يتكوَّن أصله (جذره) أوَّلاً، هكذا نحن أيضاً إذ صار الرَّب يسوع المسيح أصلاً لنا لعدم الفساد، لم يكن ممكناً أن ننبُت قبل أصلنا. ولكي يظهر الرَّب أن زمان حلول الرُّوح القُدُس علينا قد أقبل بعد قيامته من الأموات، لذلك نفخ في وجه تلاميذه قائلاً: اقبلوا الرُّوح القُدُس] (تفسير إنجيل يوحنَّا ٣٩:٧).

واضحٌ هنا أنَّ الرُّسُل القدِّيسين بصفتهم باكورة البشريَّة الجديدة، كانوا أوَّل من نال نعمة الحياة الجديدة بالرُّوح القُدُس، لمَّا نفخ الرَّب في وجوههم مساء أحد القيامة قائلاً: «اقبلوا الرُّوح القُدُس». وهذا هو ما يكرِّره **القدِّيس كيرلُّس الكبير** غير مرَّة في شروحاته[٦]. وأمَّا نحن فإننا ننال نفس هذه النِّعمة في المعموديَّة. حيث تتم فينا هذه الولادة الثَّانية بفضل قيامة الرَّب من بين الأموات «مباركٌ الله ... الذي ولدنا ثانية ... بقيامة يسوع المسيح من بين الأموات» (١بطرس ٣:١).

- **القيامة تغيِّرنا إلى صورة المسيح**

[لَّما ظهر آدم الثَّاني بيننا، وهو الإله الذي من السَّماء، الذي جاهد من أجل خلاص الجميع، وربح بموته حياة جميع النَّاس، وأبطل قوَّة الفساد، وقام لحياة جديدة، حينئذ تغيَّرنا نحن أيضاً إلى صورته] (تفسير إنجيل يوحنَّا ٤٢:١٩).

[إنَّ الرُّوح القُدُس يطبع شكل المُخلِّص في نفوس الذين يقبلونه. والمسيح لا يمكن أن يتصوَّر في أحد إلاَّ بالمشاركة في الرُّوح القُدُس، وحياة مطابقة للإنجيل. ولهذه الغاية جعل المسيح روحه القدُّوس يحل على تلاميذه، حتى يصيروا باكورة للخليقة الجديدة على صورة الله في المجد وعدم الفساد] (تفسير إنجيل يوحنَّا ٢٢:٢٠).

[إنَّ الرُّوح يشكِّل ويغيِّر إلى صورة الابن، صفات الذين يحل فيهم بالمشاركة، حتى إذا ما رأى الله الآب معالم ابنه الخاص المولود منه واضحة فينا، يحبنا نحن أيضاً كأبناء، ويشرق علينا بالكرامات الفائقة لهذا العالم] (عظة فصحيَّة ١٠).

- **القيامة تجعلنا أبناء الآب السَّماوي بالتَّبني**

[كما أننا في المسيح – الذي هو باكورة جنسنا – سنصير بل قد صرنا بالفعل منذ الآن مشابهين لصورة قيامته ومجده، هكذا قد صرنا مثله أيضاً محبوبين من الآب ... فإننا نصير محبوبين من الآب كأبناء له على قدر ما نشابه ذلك الذي هو في الواقع ابنه الوحيد بحسب الطَّبيعة] (تفسير إنجيل يوحنَّا ٢٣:١٧، ٢٤).

[إنه يدعونا إخوة، ويدعو الله أباً مشتركاً له ولنا ... وكأن الابن قد مزج نفسه بنا، ليمن علي طبيعتنا بالكرامة الخاصة به وحده، حتى أنه يدعو الذي ولده أباً مشتركاً لنا جميعاً] (تفسير إنجيل يوحنَّا ١٧:٢٠).

[لَّما قام المسيح وسبى الجحيم، حينئذ أعطى روح التَّبني للذين يؤمنون به، وأولهم الرُّسُل القدِّيسون. لأنه نفخ في وجوههم قائلاً: «اقبلوا الرُّوح القُدُس»] (تفسير إنجيل لوقا ٢٨:٧).

عن عظة فصحيَّة من القرن الثَّاني الميلادي، محفوظة في كتابات **القدِّيس يوحنَّا ذهبي الفم**:

[... إنه الفصح العجيب، إبداع فضيلة الله وفعلِ قوَّته. العيد الحقيقي والتَّذكار الأبدي، الذي فيه نَبَعَ انعدامُ الآلام من الألم، وعدمُ الموت من الموت، والحياةُ من القبر، والشِّفاءُ من الجروح، والقيامةُ من السُّقوط، والصُّعودُ إلى أعلى

٦– تفسير إنجيل يوحنَّا ٢٤:٧، ٣٩ ؛ ٢٢:٢٠ ؛ ١٦:١٢ ؛ في الثَّالوث ٦ ؛ تفسير يوئيل ٢٨:٢ ؛ تفسير إنجيل متى ٥١:٢٤ ؛ تفسير إنجيل لوقا ٢٤:٥

(السَّموات) من النُّزول إلى أسفل (الجحيم)]. (عظة فصحيَّة من القرن الثَّاني، محفوظة ضمن كتابات ق. يوحنَّا ذهبي الفم)[٧].

• هذا المستوى الثَّاني الخاص، والذي تكلَّم عنه **القدِّيس كيرلُّس الكبير**، هو القيامة الأولى التي تتحدّى الموت لأنهـا تمسـك بالحياة الأبديَّة. فكلُّ من يقوم مع المسيح الآن، لا يكون للموت الأبدي سُلطان عليه، بل يُصبح موتُ الجسد بالنِّسبة لـه، نقطـة انتقال إلى أعلى «مباركٌ ومقدَّسٌ من له نصيب في القيامة الأولى، هؤلاء ليس للموت الثَّاني سُلطان عليهم» (رؤيا ٢٠:٦).

فقيامة المسيح من الموت هي القيامة الأولى من نوعها لذلك دُعي المسيح «بكرُ الرَّاقدين»، وهي في حقيقتها مجدٌ، بـل ومجدٌ إلهي لا يُرى ولا يُدرك كحدث يحيط به الذِّهن تماماً، بل هي أيضاً حياة أبديَّة لا يمكن أن تُحس بحواس الحياة الأرضيَّة الزَّمنيَّة إحساساً وثيقاً، إنما تُحس روحياً فقط، وتبقى الحواس الجسديَّة متخلِّفة نوعاً أو في ذهول، هذا هو الذي يصفه الإنجيل مراراً وتكراراً: أنهم رأوا وسمعوا و لم يصدِّقوا.

فالحياة الجديدة التي نأخذها من المسيح ونحياها الآن، وبحسب ما سبق ذكره، هي القيامة الأولى، والـتي يقـول عنـها **الرَّسول بولس**: «إذاً إن كان أحدٌ في المسيح فهو خليقة جديدة» (٢كورنثوس ٥:١٧). أي أننا نعيش الآن في الحال الحاضر في قيامة المسيح. «إن كنتم قد قُمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق ... لأنكم مُتُّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله» (٢كورنثوس ٣:١-٣). فالمسيحيَّة تبدأ بالقيامة، ولا تنتهي عندها.

وأمَّا قيامتنا العتيدة التي سنقومها كلُّنا، فهي القيامة الثَّانية، وهي رجاءٌ ينبع من القيامة الأولى. إنَّ قيامة المسيح من بـين الأموات، هي في حقيقتها وفعلها، فجر حقيقي للقيامة العامة، وبدء فعَّال ودائم لها.

ونحن نعلم أنَّ المسيح قام بجسد ممجَّد «جسد مجده» (فيلبي ٣:٢١)، جسد روحاني، رآه **بولس الرَّسول** في وسـط السَّماء يلمع بنور أقوى من الشَّمس «رأيتُ في نصف النَّهار في الطَّريق نوراً من السَّماء أفضل من لمعان الشَّمس قـد أبرق حولي» (أعمال ٢٦:١٣). وهكذا استُعلنت الطَّبيعة البشريَّة الجديدة التي تجسَّد بها المسيح وأقامها من الموت، فصـارت باكورة الخليقة الجديدة. وفي المسيح المُقام من الأموات، استُعلن كيف سيكون الإنسان في عالمه الجديد. «الذي سيغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كلَّ شيء» (فيلبي ٣:٢١). «أيها الأحباء، الآن نحن أولاد الله، و لم يُظهر بعد ماذا سنكون، ولكن نعلم أنه إذا أُظهر (المسيح) نكون مثله، لأننا سنراه كما هو» (١يوحنَّا ٣:٢).

إنَّ الفاعليَّة الكاملة لقيامة الرَّب، لن تعطى لنا إلاَّ في الحياة الأُخرى، حينما تقوم أجسادنا معه في المجد. إلاَّ أننا منذ الآن نستطيع أن نتَّحد روحياً بقيامته، لننال منها قوَّة روحيَّة، تغيِّر صفاتنا الدَّاخليَّة إلى القداسة والسِّيرة الصَّالحة في الرُّوح القُدُس.

ويشرح **البابا أثناسيوس الرَّسولي** القيامتَين الأولى والثَّانية فيقول:

[بذبيحة جسده، وضع حداً لحُكم الموت الذي كان قائماً ضدَّنا، ووضع لنا بداية جديدة للحياة، برجاء القيامة من الأموات، الذي أعطاه لنا ... وهكذا نحن الآن لا نموت بعد كخاضعين للدَّينونة، بل كأناس يقومون من الموت، ننتظـر القيامة العامة للجميع، التي سيبينها في أوقاتها، الله الذي أتمَّها، والذي وهبنا إيَّاها[٨]] (تجسُّد الكلمة ٥:١٠).

ويقول **البابا أثناسيوس الرَّسولي** أيضاً:

[والآن، إذ مات عنَّا مُخلِّصُ الجميع، فإننا نحن الذين بالمسيح لا نموت بعد، كما كانوا قديماً حسـب وعيـد النَّاموس، لأنَّ هذا الحُكم قد بطُل. وإذ بطُل الفساد، وأُبيد بنعمة القيامة، فإننا من ذلك الوقت إنما ننحـل وفقـاً لطبيعة أجسادنا الفانية، في الوقت الذي حدَّده الله لكلِّ واحد، حتى يمكن أن ننال قيامة أفضل. لأننا – كالبـذور

7- *SC* 27, 117.

٨- ١تيموثاوس ٦:١٥

التي تُلقى في الأرض – لا نهلك بانحلالنا، بل نُزرع في الأرض لنقوم ثانية، إذ أبيد الموت بنعمة القيامة للجميع «لأنَّ هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم موت. ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد، ولبس هذا المائت عدم موت، فحينئذ تصير الكلمة ابتُلع الموت إلى غلبة. أين شوكتك يا موت، أين غلبتك يا هاوية»[٩]] (تجسُّد الكلمة ٢١:١، ٢).

(٤) معنى قول السيِّد المسيح للمجدليَّة: «لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي» (يوحنَّا ٢٠:١٧)

يقول **القدِّيس كيرلُّس الكبير** (٤١٢-٤٤٤م)، في شرحه لهذا الجزء من الإنجيل المقدَّس:

[إنَّ كلَّ من يتصوَّر أنَّ الرَّب رفض أن تلمسه المرأة لكي لا يتدنَّس بلمستها، وأنه تكلَّم بهذه الكلمات لكي يكون نقيًا حينما يصعد إلى الآب في السَّماء، كلٌّ من يفكِّر هكذا، يكون مستحقًا لكلِّ لوم، ويستحق أن يُوصف بالحماقة والجنون ...

ولكنَّه بعد أن أكمل تدبير فدائنا، بعد أن احتمل الصَّليب والموت عليه، وبعد أن قام حيًا، وأظهر أنَّ طبيعته أعلى من الموت، فإنَّه منذ ذلك الحين، بدأ يمنع أولئك الذين يأتون إليه من لمس جسده المقدَّس. وبذلك أعطانا مثالاً تسير عليه الكنائس المقدَّسة، فيما يختص بالسِّر الخاص به[١٠] ...

فقد كان لائقًا، أن تُمنع مريم مؤقتًا من لمس جسده المقدَّس، لأنها لم تكن قد نالت الرُّوح القُدُس. فرغم أنَّ المسيح قام من الأموات، ولكنَّ الرُّوح لم يكن قد أُعطى للبشريَّة من الآب، بواسطة المسيح. ولكنَّه حينما صعد إلى الآب، أرسل الرُّوح إلينا، حسب قوله: «خير لكم أن أنطلق، لأني إنْ لم أنطلق، لا يأتيكم المعزي. ولكن إن ذهبت، سأرسله أليكم» (يوحنَّا ٧:١٦). فلأن الرُّوح القُدُس لم يكن قد نزل بعد إلينا، لأنَّ المسيح لم يكن قد صعد بعد إلى الآب، فهو لهذا السَّبب، منع مريم من لمسه، لأنها لم تكن قد أخذت الرُّوح، قائلاً لها: «لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي»، أي لم أُرسل لك بعد الرُّوح القُدُس ...

ومن هنا فإنَّ هذا المثال، ينطبق على الكنائس. فإننا نمنع الذين آمنوا بلاهوت المسيح، واعترفوا بالإيمان – أي الذين أصبحوا موعوظين – نمنعهم من الاقتراب من المائدة المقدَّسة، لأنهم لم ينالوا غنى الرُّوح القُدُس بعد، فإنَّ الرُّوح لا يسكن في الذين لم يقبلوا المعموديَّة. ولكن حينما يصيرون شركاء الرُّوح القُدُس، فلا يوجد ما يمنعهم من لمس المسيح مخلِّصنا. لذلك أيضًا، فكلُّ الذين يرغبون في الاشتراك في الإفخارستيَّا المقدَّسة، يقول لهم خُدَّام الأسرار الإلهيَّة: ''القُدْسات للقدِّيسين''، وبذلك يعلِّمونهم أنَّ الاشتراك في القُدْسات، هو المكافأة التي يحصل عليها الذين تقدَّسوا بالرُّوح ...

لنتأمَّل كيف أنَّ كلمة الله الابن الوحيد، جاء بيننا، لكي نصير نحن مثله، بقدر ما تحتمل طبيعتنا أن تبلغ إلى هذا المستوى من جهة خلقتنا الجديدة بالنِّعمة. لأنه وضع نفسه، لكي يرفع ما هو وضيعٌ أصلاً، إلى مقامه العالي الخاص به. ولبس صورة عبد – رغم أنه بالطَّبيعة هو الرَّب وابنُ الله – لكي يرفع ذلك الذي كان مُستعبَدًا بالطَّبيعة، إلى كرامة البنوَّة، جاعلاً إيَّاه على شبهه الذَّاتي، وعلى صورته. كيف وبأي معنى؟ إنه عندما صار واحدًا منَّا كإنسان، لكي يجعلنا نحن أيضًا نصير مثله، أي آلهة وأبناء، فإنه يأخذ ضعفاتنا في ذاته، ويُعطينا صفاته الخاصة، وربما تكون مهتمًا جدًا بهذا الأمر، وهذا ما سأشرحه على قدر ما أستطيع.

أوَّلاً: رغم أننا عبيدٌ بالرُّتبة والطَّبيعة، فهو الآن يدعونا إخوته، وجعل الله الآب هو الأب المشترك له ولنا، ولأنه جعل البشريَّة خاصةً به، باتخاذه شكلَنا لنفسه، فإنه يدعو إلهنا، إلهًا له بقوله: «إلهي»، رغم أنه ابنُه بالطَّبيعة؛ وذلك

٩- ١كورنثوس ١٥:٥٣-٥٥

١٠- أي سر الإفخارستيَّا كما يتَّضح من بقيَّة الشَّرح.

لكي نرتفع نحن إلى كرامته الفائقة العظمة، بمشابهتنا له[١١].

لذلك، لا تعثُر عندما تسمعه يدعو الله إلهًا له بقوله «إلهي»، بل بالحرى تأمَّل كلماتَه بروح مستعدة للتعلُّم، وتأمَّل معانيها الحقيقيَّة بانتباه. فهو يقول إنَّ الله أبوه، وإنه إلهُنا أيضًا، وكلا القولَين صحيحٌ. لأنَّ إلهَ هذا الكَون هو بالحق، أبُ المسيح، ولكنَّه ليس أبانا بالطَّبيعة؛ بل بالحرى هو إلهُنا لأنه خالقُنا، وربُّنا الذي له كلُّ السِّيادة. ولكنَّ الابن، إذ وحَّد نفسه بنا بتجسُّده، فإنه منح لطبيعتنا الكرامة التي له وحده، ودعا ذاك الذي ولده (أي الله الآب) أبًا مشتركًا له ولنا ... ومن الجهة الأُخرى، فهو باتخاذه شكلَنا، فإنه يقبل في نفسه ما يختص بطبيعتنا، فهو يدعو أباه «إلهي»، لأنه بسبب غنى محبته ورحمته على جنس البشر، لم يشأ أن يحتقر صورتَنا التي قد اتخذها لنفسه. أمَّا من يريد بجهل أن يعترض على هذا القول «أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم»، ولا يقبل أن يقول المُخلِّص عن الله الآب إنه «إلهه»، فهو بهذا الانحراف في الفهم، يطعن في خطَّة فدائنا ذاتها. وبدلاً من أن يُقدِّم الشُّكر الواجب لله صانع الخيرات لنا، فإنه يحتقره، ويعترض بغباوة على الطَّريقة التي أظهر بها محبَّته لنا.

ولكن إن كان الابن قد وضع ذاته «مستهينًا بالخزي» (عبرانيِّين ٢:١٢)، وصار إنسانًا لأجلك، فإن رفضتَ تواضعه، فإنك ستُدان على ذلك، أمَّا هو الذي اتضع لأجلك، فإنَّ الكرامة الواجبة له، هي عظيمة بلا حدود ...

لذلك، إذ هو كاملٌ ومكتفٍ بذاته كُليَّة كإله، فإنه وضع نفسه لأجلك، وصار في شبهك، ورغم أنه مُمجَّدٌ مجدًا عاليًا كابن الله، ومولود من ذات جوهر الآب، فإنه أنزل نفسه، إذ أخلى ذاته من صفات مجده الإلهي، بقدر ما تسمح طبيعته الإلهيَّة بذلك.

والآن، فهو إلهٌ وإنسانٌ معًا، إذ هو فائقُ المجد، بسبب أصله الإلهي، وهو أيضًا وُضِعَ لأجلنا.

إذاً، فلتهدأ نفسك حينما تسمعه يقول: «أصعد إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم». فمن اللاَّئق جدًا، بل والصَّواب تماماً، أنه وهو بالطَّبيعة الإله وابن الله، أن يقول عن ذاك الذي ولده إنه «أبوه »، ولأنه إنسانٌ مثلُنا، فيحق له أن يقول عن الله إنه «إلهه» ...] (شرح إنجيل يوحنَّا ١٧:٢٠).

١١- نحن لسنا أبناءً لله بالطَّبيعة، بل هو الابن الذي يصرخ في قلوبنا بروحه «يا أبا الآب» (غلاطية ٦:٤).